الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

هل حلت البصرة الفيحاء في أرض لها تاريخ عريق؟

فؤاد يوسف قزانجي
أستاذ جامعي

موقع البصرة، المدينة الإسلامية العتيقة التي مصرت في عام (١٤ هـ/ ٦٣٦ م) هو الزبير حالياً. و قد قامت على الضفة القريبة اليوم لما يدعى (كري سعدة) التي كانت في البداية موقع خيام الفاتحين المسلمين حيث ينفصل طريق الأبلة عن طريق الأحواز عند (الخريبة). وتعني كلمة بصرة الأرض الغليظة التي بها حجارة صلبة وقد تعني ايضا الحجارة الصلبة البيضاء. و سميت ايضاً بالبصرة الفيحاء وبثغر العراق. أن ضريح الحسن البصري مع المقبرة الأولى المدعوة (الجبان) تقعان قرب سوق المربد، بينما أمسى ضريح الأمام أنس بن مالك اليوم قرب محلة العرنوس القديمة. وكانت محلة (أهل العالية) تقع بين سوق المربد وجامع البصرة. و جاء العباسيون في عام ١٣٢ هـ فنظموا الري بالمدينة متخذين حوض المربد واسطة لذلك، وحيث أن المربد كان سوقاً للإبل و محطة للقوافل، كان الشعراء كل عام يجتمعون هناك حتى لقب المكان بعكاظ الإسلام. كانت البصرة مصدراً رئيساً لفنون صناعة السفن الصغيرة و القوارب في العراق، و كانت هذه الصناعة قد ورثتها عن مدينة فرات –ميسان القريبة منها، و تطورت هذه الصناعة من خلال العلاقات التجارية مع الهند ومجيء العديد من الهنود إلى البصرة. وقد تم في البصرة زراعة أجود الأصناف من النخيل و التمور والعمل على تكاثرها ويبدو أن الأرض و المناخ كان ملائمين تماماً لنمو النخيل التي أصبحت كالغابات في العشار.

كان من بين أهل البصرة مسيحيون يسمون بالسريان أو الكلدان، و كذلك يهود يسمون بالرهدانيين من ساكني محلتين خاصتين بهما في البصرة هما: محلة القرائين و محلة التلموديين، و كانت محلة القرائين موطن الحبر اليهودي في البصرة (يفث بن علي البصري) ت عام ٩٢٠ م. و قد أشار بنيامين التطيلي عن وجود (١٠) ألاف يهودي في البصرة في القرن الثاني عشر الميلادي يقابلهم (٦٠٠٠) يهودي في الكوفة. و قد أدى موت البصرة البطيء في القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر إلى أن تصبح قرية صغيرة تعرف بالزبير، و قد نشأت بصرة ثانية في شمال العشار في موضع الأبلة القديمة بالقرب من الشاطئ الأيمن لشط العرب. و كانت هذه البصرة الجديدة واقعة تحت التأثير الزهدي المتمثل بالرفاعية، كما أن هناك صفوة صغيرة مختلفة تحيط بها أكثرية شيعية غروية.

و لنعد إلى البصرة الأولى، فبحسب ما جاء في معجم البلدان، فأن المسلمين حلوا بالبصرة بقيادة عتبة بن غزوان ثم توجهوا إلى الأبلة وهي اليوم العشار واستولوا عليها بسهولة، و بعد الأبلة مروا بمدينة تدعى (الفرات) والحقيقة هي (فرات – ميسان) أو بالأحرى فرات –ميشان. و يؤكد وجود مدينة الفرات الإشارة إليها مرة أخرى:. " فلما قاتل عتبة أهل مدينة الفرات، جعلت امرأته تحرض المسلمين على القتال.. " و قد وردت مدينة فرات ميشان باسم فرات البصرة بعد ذلك، و قال عنها الحموي أنها كورة (بهمن اردشير). و كانت فرات ميشان مدينة ذات جذور راقية وجدت قديماً في منطقة ميشان باسم (براث –ميشان) نشأت على الأرجح في القرن الثالث قبل الميلاد على الفرات في زمن الإغريق.

كان جيش الأسكندر المقدوني قد مر من أرض ميشان (الأهواز) وذلك أثناء عودته منتصراً من فتوحاته في إيران و الهند. وكانت أرض ميشان تمتد من المحمرة ومصبي نهرا دجلة و الفرات و رأس الخليج العربي حتى مدينة العمارة التي كانت تضم بقايا القبائل الآرامية و الكلدية التي كانت تشكل مملكة أرض البحر حتى سقوط الإمبراطورية البابلية في القرن السادس قبل الميلاد. و قد أمر الأسكندر الكبير ببناء مدينة خراسين Charassan وسميت ايضاً كراسين ثم كرخا وقد سار الأسكندر محاذياً الفرات الذي كان يجري لوحده آنذاك و كذلك دجلة و يصبان متجاورين في الخليج، وأنشأ على الفرات ميناءاً دعاه ابولوكس Appologos الذي أصبح بلدة ابلا ثم سميت في القرن الرابع للميلاد باسم فارسي و هو (دست ميشان) تم تبديل أسمها في القرن السابع إلى الابلة. و كانت مملكة ميشان الآرامية قد قامت بمساعدة الملوك السلوقيين، و ظلت مملكة ميشان تحت النفوذ السلوقي ثم الفارسي حتى عام ٢٢٦ للميلاد حينما اجتاحها جيش الملك الساساني اردشير و اجتاح معها مملكة حاطرا (الحضر).

و كانت مدينة فرات –ميشان في القرن الرابع للميلاد قد أصبحت مدينة سريانية، و أن معظم سكانها الآراميين قد اهتدوا بالمسيحية و كانوا يشتهرون بصناعة القوارب كما كانت المدينة مركزاً للتجارة بين بلدان الخليج العربي والعراق و إيران.

ظلت مدينة فرات –ميشان قائمة حتى القرن التاسع الميلادي وكان أسقفها آنذاك عالماً مشهوراً و هو ايشوعدناح الذي أنتقل من مدينة فرات – ميشان إلى البصرة التي غدت مدينة مهمة وتلقب ايشوعدناح بالبصري حباً بالمدينة. و كان ايشوعدناح قد ألف كتاباً مهماً في التاريخ السرياني و هو (الديورة في بلاد فارس و العراق) في عام ٨٦٠ م تقريباً وذلك قبيل وفاته وقد سبق كتاب الديورة للشابشتي بأكثر من قرن من الزمن. و قد أضاف ايشوعدناح معلومات مهمة عن المدارس في العراق و منطقة ميشان و التي ناهزت على الخمسين مدرسة كانت تدرس فيها السريانية و اللاهوت و المنطق و الرياضيات و من بينها اسكول مار ماري في دير قنى و مدرستي الحيرة والانبار التي درست على الأرجح اللغة العربية في نهاية القرن السابع للميلاد. و هكذا نجد أن أرض البصرة كجزء من أرض العراق القديم بما فيها ميشان كانت غنية بالثقافة الأصلية المنبعثة من ارتباطها بالحضارات و الأقوام التي قدمت الكثير من النشاطات الإنسانية المعطاءة كالآراميين و الكلديين و العرب و غيرهم.

مستقبل العراق في دراسة أميركية: أنموذج (عسكرة الديمقراطية) التركي

د.عماد مؤيد
اكاديمي

قبل فترة وجيزة أصدر مركز الشؤون العالمية (center for global affairs) التابع لجامعة نيويورك دراسة مثيرة للجدل اعدت في ربيع عام ٢٠٠٧ الا انها لم تنشر الا بداية شهر آب الماضي، والدراسة مخصصة للبحث في مستقبل العراق بعد انسحاب القوات الاميركية مع بداية عام ٢٠١٠ حتى ان الدراسة حملت عنوان (العراق بعد عام ٢٠١٠) (Iraq post 2010) ولعل اختيار العام المذكور هو نوع من التصور السياسي للقائمين على الدراسة مبني على أساس التقارير الاميركية نفسها التي تتحدث عن امكانية بلوغ القوات الامنية العراقية الجاهزية التامة لتولي الملف الامني في كامل البلاد مع اقتراب العام المذكور الأمر الذي يستدعي بداية الاستعداد الاميركي للانسحاب، والدراسة بشكل عام تقع ضمن اختصاص حقل معرفي مهم يعرف باسم (الدراسات المستقبلية) ((Futurology، اذ انطوت الدراسة على ثلاثة سيناريوهات احتمالية أعدت من قبل عدد من ذوي الاختصاص والمهتمين بالقضية ممن ينتسبون لمدارس فكرية وعلمية مختلفة، فالمنسق الرئيس للمشروع وهو (مايكل اوبنهايمر) ينتمي لمدرسة مستقلة هي مركز الشؤون العالمية في جامعة نيويورك وسبق له ان نظم أكثر من ثلاثين مؤتمراً حول كيفية بناء السيناريوهات وتحليل السياسة الخارجية لمصلحة مؤسسات مثل وزارة الخارجية، وزارة الدفاع، وكالة المخابرات المركزية ومجلس المخابرات الوطني التابع للكونغرس الاميركي، أما بقية المشاركين فهم (ريتشارد بولبت) استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا و (ستيفن كوك) من مجلس العلاقات الخارجية المقرب من المحافظين والحزب الجمهوري الحاكم و (غريغوري غاوس) من جامعة فيرمونت و (تيري هايدت) من معهد (بروكنغز) وهي مؤسسة مقربة من الحزب الديمقراطي و (غيدون روز) من مجلة (الشؤون الخارجية–foreign affairs) المقربة من وزارة الخارجية مما يوحي ان المجموعة ضمت شخصيات علمية مستقلة اضافة الى خبراء مرتبطين بمؤسسات صنع القرار وأحزاب متنفذة.

السيناريو الأول الذي قدمته الدراسة كان عنوانه (دكتاتورية الوحدة الوطنية) وافترض هذا السيناريو ان مجتمعا متنوعاً مثل العراق لن يوفق في الوصول الى مشروع سياسي للتعايش المشترك مبني على أساس احترام الاستحقاقات الديمقراطية خصوصا مع انسحاب القوات متعددة الجنسية ولتجنب الوصول الى الأسوأ وهو الحرب الاهلية فان الحل الأمثل يكمن في بروز قائد عسكري لا يخضع لتأثير قوى خارجية يعمد الى ادارة البلاد وفق نمط عسكري بعيداً عن اليات الحل السياسي التشاركي، وافترضت الدراسة ان هذه السيطرة المطلقة ستكون انتقالية لحين التمكن من بناء عقد سياسي–اجتماعي يسمح بعودة الحياة الدستورية، وقد استوحت الدراسة مجموعة من الأمثلة التاريخية المشابهة لوقائع هذا السيناريو مثل سيطرة الزعيم عبد الكريم قاسم على العراق بعد قيام الجمهورية، وبروز الجنرال جوزيف بروز تيتو في يوغسلافيا السابقة كقائد عسكري منع تشظي البلاد وأيضا ذكرت الدراسة دور محمد رضا بهلوي شاه ايران في ادارة البلاد على وفق طابع عسكري مع تهيئة المجتمع بشكل تدريجي للحياة البرلمانية.

السيناريو الثاني كان عنوانه (الفوضى المسيطر عليها) ((contained mess وافترض هذا السيناريو ان البلاد ستعيش واقع الحرب الاهلية لعدم وجود قوة عسكرية منفردة قادرة على ضبط قوة الأطراف المتصارعة وبدلا من ذلك سيكون هناك دول اقليمية تعمل على تغذية الاطراف المتعددة لخوض هذه الحرب بالنيابة عنها ومنعها من الوصول اليها، ويشير هذا السيناريو الى ان الفوضى العراقية الداخلية ستبقى مقيدة ضمن حدوده بسبب من نجاح القوى الاقليمية في فرض حالة من التوازن الميداني بين الأطراف.

أما السيناريو الثالث وهو الاخير فكان عنوانه (انتشار العدوى) ((contagion وهو الأسوأ ليس بالنسبة للعراق فحسب بل لدول الأقليم أيضا اذ تؤدي الفوضى العارمة وانتشار الافكار الراديكالية وعدم القدرة على ضبط الحدود اضافة الى تدفق موجات من الهجرة البشرية من العراق الى انتقال حالة العنف الى الدول المجاورة وان كان بمستويات وأبعاد مختلفة وفي هذه الحالة يكون كل من العراق والاقليم واقعين تحت رحمة العنف السياسي. هذه هي مجمل الافكار الرئيسة التي قدمتها الدراسة ويبدو ان السؤال الذي لا ينفك يتردد بين السطور هو ما الذي يمكن استشفافه من هذه القراءة الاولية ؟

ربما ان الجواب المنطقي هو أن المتفحص لوقائع هذه الدراسة يستطيع ان يخرج منها بانطباعين الأول هو فشل المشروع الأميركي مع بداية الانسحاب، اذ أن كافة السيناريوهات تؤكد لا محالة فشل المشروع السياسي الأميركي الذي اعلنت واشنطن الحرب من أجله وهو اقامة مجتمع انتخابي يؤمن بالتعددية السياسية فجميع السيناريوهات تذهب بعيداً عن هذه الغاية بحيث ان هذا المشروع على الرغم من خطواته المتواضعة التي حققها لغاية الان سوف لن يصمد مطولا بعد انسحاب القوات الدولية، ولعل هذا الانطباع يقود المراقب الى اكتشاف حقيقة الانطباع الثاني وهو هل أن الدراسة بسبب مما ذكرناه أولاً تسعى الى توفير غطاء تبريري من أجل الابقاء على القوات متعددة الجنسية في العراق لحماية وتعزيز هذا المشروع ؟

لقد سبق أن اشرنا في البدء الى أن المنسق الرئيس للمشروع وهو (اوبنهايمر) يعد شخصية مستقلة على الرغم من مشاركة عدد من الخبراء المعروفين بانتماءاتهم المختلفة في اعداد هذه الدراسة وهو ما يدفعنا الى الاقتراب من تبلور انطباع ثالث وهو: هل من المستبعد أن تكون هذه هي الحقيقة التي تفرض نفسها كواقع عراقي لايمكن نكرانه، بمعنى اخر أن الدراسة لم تبد أي انحياز لجهة سياسية أو مدرسة فكرية معينة وانما اكتفت بتشخيص الواقع بشكل دقيق ومجرد وخلصت في خاتمة الأمر الى أن انسحاب القوات بعد ثلاث سنوات سيؤدي ولا ريب الى انتشار الفوضى بسبب من غياب القوى الضابطة. ان التسليم بهذا الاستنتاج معناه الاعتراف بأن المشروع الديمقراطي في العراق لم يزل هشاً طرياً لاسيما وأن الكثير من تطورات هذا المشروع لم تزل محكومة على وفق المعادلة المذهبية وهو ما يعني حاجته الماسة الى توافر الدعم الدولي والأممي بما في ذلك الوجود العسكري أما خلاف ذلك فهو ارتداد سياسي الى حقبة الانقلابات العسكرية. ونعتقد أن استكمال الفضاء التحليلي يتستلزم الاشارة الى أنه سبق ظهور هذه الدراسة بقليل جولات ميدانية في العراق قامت بها مؤسسات بحثية أميركية مثال ذلك الجولة التي ضمت كل من (مايكل اوهانلون) و (كينيث بولاك) من معهد (بروكنغز) المقرب من الحزب الديمقراطي، اذ اطلعا عن كثب على الواقع السياسي والأمني في البلاد اضافة الى معايشتهما للحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلاقة ذلك بالاستراتيجية الجديدة التي اعلنها الرئيس (بوش) مع بداية العام الحالي وقد خلص الباحثان الى أن الاستراتيجية تؤتي بعض الثمار الحسنة الا أن الوصول الى مرحلة النجاح المفضل يتطلب منحها الوقت اضافة الى الدعم السياسي والمالي وكانت هذه التوصية الصريحة تشير الى استبعاد خيار الانسحاب في الوقت القريب، كما قام الباحث الاستراتيجي (أنتوني كوردسمان) من معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS) المقرب من المؤسسة العسكرية بزيارة مماثلة للعراق من أجل تقديم تقييم استراتيجي للأوضاع هناك وكانت توصياته النهائية قد أشارت الى أن الاستراتيجية الجديدة تمر بمرحلة حرجة خصوصا مع اعتماد القادة العسكرين لخيار تسليح العشائر الواقعة ضمن محيط بغداد وبعض المحافظات بهدف خلق نوع من التوازن المذهبي–الاجتماعي، صحيح ان (كوردسمان) امتدح التطور السياسي المتمثل باستمالة العشائر في الانبار وديالى لمقاتلة تنظيم القاعدة الا انه يقر أن الثمن الذي تدفعه القوات الاميركية هو خلق قوى داخل الدولة تمتلك السلاح وتفرض سيطرتها على المناطق التي كانت تأوي سابقا تنظيم القاعدة وهو ما سيعمل على خلق أشكالية متمثلة بثنائية الدولة–القوى المسلحة خصوصا أن الاخيرة خارج حدود سيطرة الدولة، لذا يخلص في النهاية الى القول أنه من الممكن لهذا الخيار أن يحقق بعض النتائج الايجابية لوقت قريب الا أن المشكلة تتمثل في ما الذي سيحدث في حال أصبحت هذه القوى خارج سيطرة الدولة والقوات الأميركية معا وبحوزتها هذه الأسلحة ؟

وان كان تقرير (اوهانلون و بولاك) قد أوصى بحاجة الاستراتيجية الى مزيد من الوقت وبالتالي عدم التفكير في خيار الانسحاب حاليا، فان تقرير (كوردسمان) يؤكد ان الخيارات التي اعتمدتها القيادة العسكرية بتسليح العشائر خطرة ومثيرة للقلق وينبغي التعامل معها بحذر شديد لانها ستعمل على تفعيل حالة من التسليح المتبادل ما بين التكوينات الاجتماعية وخلق بيئة أمنية مستنفرة الأمر الذي يستلزم وجود قوة تمسك بالميزان لتمنع هذا التسلح من الوصول الى مرحلة الاستخدام وهو ما يعني ان القيادة العسكرية الاميركية باعتمادها هذا الخيار فرضت قسرا ضرورة وجودها من أجل الحفاظ على السلم النسبي في العراق، وكلا التقييمين اقتربا من الواقع الذي شخصته الدراسة المستقبلية بخصوص العراق من أنه واقع غير مهيأ لخيار الانسحاب لأن النتائج التي سيفرزها ستكون كارثية، وعليه فان نجاح الديمقراطية العراقية أصبح مرتهنا بالاقتراب كثيراً من الأنموذج التركي في ضرورة وجود مؤسسة عسكرية راعية تلعب دوراً سياسياً يتمثل بـ(حامل الميزان) لابقاء التطورات السياسية تحت أنظارها ومنع أي انحراف غير مرغوب علما أنه سبق ان اشار (كولن باول) عندما كان وزيرا للخارجية بأن الحل الأفضل للعراق هو اقامة انموذج عسكرة الديمقراطية كما هو الحال في تركيا.

ديالكتيكية السلوك العدواني عند الأطفال بين الدوافع البايولوجية والدوافع البيئية

د. رضا الموسوي
اكاديمي

دارت جدلية الغريزة والاكتساب حول السلوك العدواني طويلا ما دفع علماء النفس القدماء الى وضع الكثير من الدراسات والبحوث التي ترى فيه غريزة كما هي الحال لدى فرويد الذي راعه ما رأى من احداث في الفترة التي كان يعيش فيها فذهب الى الرأي الذي يرى وجود دافع تدميري لدى البشر اسماه ثانا توس (Thanatos) عده مكملا للدافع الجنسي (Eros) لديهم ومن الصعب تحديد العمر الذي يبدأ فيه ظهور النزعات العدوانية لدى الطفل بصورة عامة الا ان من الملاحظ ان الطفل الرضيع (Infant) يحمر وجهه بسرعة عندما يتعرض لاحداث تسبب له الاحباط او تقيده او تسبب له التهيج والثورة مما يجعله يستخدم اية وسيلة في متناول يده للتخلص من المثيرات غير السارة او التي لا يرغب فيها عن طريق البكاء او الصراخ او الهجوم الفيزيقي المباشر بسبب عدم تمكنه من استخدام وسائل رمزية مقنعة او اساليب عقلية مجردة.

ان المقصود بالسلوك العدواني Aggressive Behavior: مجموعة المظاهر السلوكية المتمثلة في الاعتداء المادي نحو الآخرين، ويشتمل على الهجوم أو الضرب وما شابهه من اعتداء لفظي كالإهانة والازدراء.وكثيرا ما يرتبط بالعنف Violence الذي يتمثل بتعبير مباشر موجه إلى الذات أو إلى الآخر بالضرب أو العض أو الطعن أو السب أو التشاجر أو التخريب بهدف التخلص من حالة الإحباط والالحاق الأذى بالآخرين أو سلوك إيذاء الذات لدى الطفل المعاق ذهنياً او الوقوع تحت تأثيرات البيئة المحتضنة للعنف .

يرى دايموند Daimond وجود اسس بايولوجية منها عوامل وراثية جينية Gentic factors وفروقات جنسية في السلوك العدواني الا انه لاينكر اهمية الخبرة والتعلم في هذا المجال ولعل من المفيد الاخذ ببعض العوامل البايولوجية التي لا يمكن انكار اثرها في هذا الموضوع ومنها العاهات والاعاقات التي يعانيها الاطفال بشكل خاص .ففي كل مجتمع من المجتمعات توجد مجموعة من الأشخاص المصابين بعاهة أو أكثر أثناء أو بعد الولادة مما يسبب لهم نوعا من أنواع الإعاقات، وتعد مشكلة الإعاقة من المشكلات المهمة التي تواجهها اكثر المجتمعات، وقد أوضحت إحصاءات الأمم المتحدة أن أكثر من ٥٠٠ مليون معوق، في عالمنا الحالي وأن نحو ٨٠٪ منهم يقع في نطاق الدول النامية.

وتؤثر مشكلة الإعاقة العقلية في المجتمع تأثيراً مباشراً وخاصة في الأسرة حيث يسبب قدوم طفل معاق عقلياً مشكلات عاطفية ووجدانية وسلوكية واقتصادية. وتشير كثير من الدراسات إلى أنه إذا أعد المعوق إعداداً جيداً وأحسن تدريبه فإنه يستطيع أن يعطي قدر ما أنفق عليه أضعافاً مضاعفة. اذ يعد موضوع الإعاقة العقلية Mental retardation قديم قدم الإنسانية، ويمثل المعاقون عقلياً قطاعاً محدداً في أي مجتمع من المجتمعات لا تعرف حدوداً جغرافية أو طبقية.. حيث تنتشر ظاهرة الإعاقة العقلية في كل المجتمعات ولا يخلو مجتمع ما منها، ولكن نسبة انتشار تلك الظاهرة قد تختلف من مجتمع إلى آخر، فقد تزيد في بعض المجتمعات وقد تنقص في مجتمعات أخرى، وهذه الظاهرة تتوقف على معيار نسبة الذكاء المستخدم في تعريف الإعاقة العقلية.ومعيار العمر الزمني المستخدم في تعريف الإعاقة العقلية. اضافة الى معيار السلوك التكيفي المستخدم في تعريف الإعاقة العقلية.

ويرى روس (Ross, 1974) أن العلاقة بين السلوك غير التكيفي وشدة الإعاقة العقلية قوية جدا، وكلما ازدادت شدة الإعاقة العقلية ازداد معدل حدوث المشكلات السلوكية، ويعد السلوك العدواني من أهم وأخطر تلك المشكلات التي تواجه المعاقين عقلياً حيث يقع في مقدمة المشكلات السلوكية التي يعانى منها المعاقون عقلياً، وليس من من المبالغة القول ان السلوك العدواني يشكل اعظم المشكلات السلوكية التي تحد من فاعلية وكفاءة البرامج التدريبية والتأهيلية، كما يمتد أثره على مستوى تفاعل الأطفال المعاقين عقلياً خارج إطار المراكز والمؤسسات الخاصة التي تأخذ على عاتقها مهمة تأهيلهم .وقد تضطرب العلاقات الأسرية داخل الاسرة نتيجة لمعاناتها من سلوك أطفالها العدوانيين مما يؤثر بالتالي في البناء النفسي والتماسك الأسرى الداخلي، ويمتد أثر السلوك العدواني ليشمل مختلف المواقف الاجتماعية التي يتواجد بها الطفل المعاق عقلياً. وتعد ظاهرة العنف Violence ظاهرة متشابكة الجوانب، بسبب ما يرافقها من اعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية ونفسية ، وظاهرة العنف ليست ظاهرة محلية بمعنى أنها ليست قاصرة على المجتمع العراقي فحسب وإنما تكاد تكون ظاهرة عالمية، وتلعب ظاهرة العنف بصفة عامة دوراً خطراً فى المجتمع حيث أن العنف تعبير عن العدوان وأحد وسائل التعبير عن الطاقة العدوانية لدى الأفراد داخل المجتمع، فقد تكون وسائل التعبير عنه مقبولة اجتماعياً كأنواع الرياضيات العنيفة من ملاكمة وأفلام العنف والإثارة، وقد تكون مرفوضة اجتماعياً كالمشاجرات والجرائم العنيفة كالسطو والقتل والارهاب فهذه الظاهرة هي ظاهرة نفس اجتماعية تشمل المجتمع بما فيه من أسوياء ومرضى حيث أن للسلوك العنيف أهمية خاصة إذ تهدد كيان المجتمع بأثره بل يتعدى تهديدها الأفراد أنفسهم ليصل إلى الوجود الإنساني بأكمله.

لقد توصل كل من سارسون Sarson 1980، كرينيك Crinic 1983، سينجر Singer 1988 من أن اكتشاف حالة إعاقة عقلية فى الأسرة يشكل صدمة للوالدين ومشاكل عاطفية عديدة، وأعراض كدر وضيق لا يمكن التغاضي عن أثارها النفسية لما تتركه من اضطرابات قد تؤثر في التفاعل الأسرى، وتؤدى غالباً إلى تغيرات فى حياة الأسرة.

وإذا كان السلوك العدواني أحدى المشكلات السلوكية الكبرى التي تنتشر بين الأطفال المعاقين عقلياً وتعانيها الأسر، فإن هذا الأمر قد تخطى العاملين والمهتمين برعايتهم، الأمر الذي يؤثر في علاقة الطفل المعاق عقلياً بأقرانه، كما يؤثر في تعليمه وتكيفه الشخصي والاجتماعي داخل البيئة المحيطة به، وقد توصل جاكوبسون Jacobson ١٩٨٢ كما أشار المطرودي إلى انتشار نسبة المشكلات الكبرى بين المعاقين عقلياً متمثلة في الاعتداء الجنسي وإحداث الحرائق والاعتداء الجسمي على الآخرين والتعري في الأماكن العامة، وسلوك إيذاء الذات وتدمير الممتلكات بين فئات الإعاقة العقلية الشديدة، بينما يزيد انتشار المشكلات الانفعالية والمشكلات السلوكية الصغرى المتمثلة فى النشاط الزائد والحركات النمطية ورفض الإشراف ومقاومته والبكاء والتشنج وسب الآخرين وعدم العناية بالذات والشره للأطعمة الشاذة ولوم الآخرين وتخريب الأشياء بين فئتي الإعاقة العقلية البسيطة والمتوسطة.

وقد استخدم العديد من الأساليب العلاجية فى مواجهة مشكلة السلوك العدواني لدى المعاقين عقلياً، وكان من أبرزها العلاج السلوكي الذي يعتمد على وضع برنامج خاص للتخفيف من حدة المشكلة، ويعتمد على أحد أساليب العلاج السلوكي المتعددة، ويقوم على أسس تربوية يقوم بالتخطيط لها أخصائيون في هذا النوع من العلاج بهدف تعديل السلوك المشكل لدى المعاقين عقلياً، ويعتبر تطبيقاً عملياً لمبادئ التعلم، وفضلا عن ذلك فقد أشار لويس مليكه (١٩٩٨) إلى أن العلاج السلوكي المتبع في حالات السلوك العنيف يمكن تصنيف إجراءاته إلى إجراءات إيجابية تتضمن تقديم التدعيم، وأخرى سلبية تتضمن استخدام منبهات منفرة.

إن انتشار السلوك العدواني لدى فئة المعاقين عقلياً، وخاصة في وقت مبكر من العمر يعتبر عاملاً منبئاً باستمرار السلوك العدواني فيما بعد، وهو ما أشار إليه سعيد دبيس (١٩٩٧) حيث أوضح أن ديفيدسون وزملائه قد توصلوا إلى أن وجود أشكال من السلوك العداوني عند الأفراد المعاقين عقلياً في وقت مبكر يعتبر أكثر وأهم المتغيرات المنبئة بالسلوك العدواني فيما بعد.

ويرى ماتسون وكييس Matson & Keyes, 1990 أن هناك حاجة إلى مزيد من البحث في مشاكل السلوك الحادة لدى المعاقين عقلياً، وخاصة إيذاء الذات والعدوانية لأنهما أكثر المشاكل حدة في المعاهد والمؤسسات الخاصة برعايتهم، وأن السلوك العدواني عند الأطفال المعاقين عقلياً يتمثل في مظهرين:

أولهما .سلوك عدواني بدني ويتضمن السلوكيات العدوانية الصريحة كالضرب والعض والركل والدفع وثانيهما سلوك عدواني لفظي الذي يتمثل في التعابير والألفاظ التي يمكن أن يستخدمها الأطفال المعاقين عقلياً كالتوبيخ والسخرية والسب والشتم والاستهزاء.

ويتفق المهتمون بالعلاج السلوكي على أنه إلى جانب ارتباط هذا النوع من العلاج بمبادئ التعلم، فإنه يرتبط أيضاً بالمنهج التجريبي في دراسة السلوك الإنساني، لذا فإن المشكلات السلوكية يمكن فهمها من خلال المبادئ المعتمدة على التجربة العلمية. وتسعى الأمم المتقدمة إلى الاستفادة من جميع أفرادها وجعلهم أعضاء فاعلين، ويشير عبد العظيم شحاتة (١٩٩١) إلى أن كثيراً من الدراسات قد أكدت على أن إعداد المعوق إعداداً مفيداً من خلال برامج تربوية وتأهيلية وترفيهية تهدف إلى رفع مستوى قدراته والوصول بها إلى أعلى المستويات، يجعله قادراً أن يعطي قدر ما أنفق عليه أضعافاً مضاعفة.

وكما أشار لويس مليكه (١٩٩٨) إلى إمكانية تعليم الطفل المعاق عقلياً من خلال أساليب تعديل السلوك، ويقوم تعديل السلوك على أساس الفكرة القائلة بأن "ما تفعله يتأثر بما يحدث بعده مباشرة" فحين نريد من طفل أن يتعلم شيئاً فإننا نبحث أولاً وبدقة عما يتمتع به من أمور، ثم نوفر له هذه الأشياء الممتعة في الوقت الذي يقوم فيه بما نريد أن يتعلمه، ويتعلم أنه لن يحصل على ما يمتعه إذا قام بشئ لا نريده أن يقوم به.

في الاتجاه المكتسب ينكر الكثير من العلماء الدوافع الغريزية ويرجعونها الى الى الاحباط والخبرات السابقة جراء التعزيز والمكافئة كأن يكافأ الطفل الذي يحاول اشباع رغباته بطريقة العدوان واستخدام العنف داخل محيط العائلة وهنالك مجموعة من النظريات او الفرضيات التي تفسر العدوان وفقا لعامل الاحباط لدى الافراد الذي يولد لدهم نوع من العدوان .فيما ترى نظريات اخرى تؤكد على تقمص الطفل سلوك والده العدائي مما يحول هذا التقمص الى سمة ثانية من سمات شخصية هذا الطفل والنظرية الثالثة ترى ان تساهل الاباء ازاء سلوك ابنائهم العدواني او العنف الذي يمارسونه يطور وينمي السلوك العدواني لديهم ليخرج من محيط الاسرة الى المحيط الخارجي.

ومن الملاحظ ان هذه النظريات الثلاث تؤكد دور وتأثير البيئة والخبرات المكتسبة وخاصة ما يتم منها في دائرة الاسرة . ولعل فم الانسان الاداة الاولى التي يستخدمها للعدوان حتى وهو في نعومة اظفاره . فهو يستخدمه للعض والبصق والقيء ثم السب والشتم بالاضافة الى العين واليدين واللسان (راجح .احمد عزت١٩٧٧) وقد يحول الطفل عدوانه الى نفسه فنجده يضرب راسه في الحائط او يشد شعره او يلقي بنفسه على الارض حين يعجز عن توجيه عدوانه الى احد افراد عائلته من الكبار الذين سببوا له التوتر. ان الذي نخشاه نحن التربيين ان يتطور السلوك العدواني المكتسب لدى اطفالنا في العراق بسبب الظروف ا لمحيطية والبيئية المتمثلة بالارهاب والتفجيرات والتهديد والتهجير القسري وما يلاقونه من قتل على الهوية وتصفيات طائفية وعرقية يمارسها العملاء من مختلف الطوائف بسبب انتماءاتهم المادية لدول الجوار التي لا تريد لنا الاستقرار وان تتحول هذه المظاهر العدوانية وتنمو لدى الاطفال لتصبح شبحا يهدد مستقبلنا الذي صبرنا وتحملنا كل مكروه من اجله.